اخذوا يظهرون، اكثر فأكثر، ما يشير الى عدم ارتياحهم بعدما تحققوا من ان اسرائيل تفضل الحرب وتتصرف بعناد، فضلا عن انها عبء مالي ومخاطرة سياسية. لكن، ما يهيب بهم ان اسرائيل، ما زالت ثابتة على الرغم من التداعي والانحطاط.

العامل الثاني، ان الغرب يعدّ الشرق الأوسط مثالا للنزاع والفوضى والتطرّف ومصدرا للقلق يبدو ان اخطاره تزداد اكثر فأكثر. ثم، والى حد بعيد، لأن الغرب يقبل نظرة اسرائيل الى نفسها، فهو يقبل ايضا النظرة القائلة بأن اسرائيل، منذ قيامها، التزمت الدفاع عن النفس وانها سعت دائما الى السلام والصلح مع جيرانها الذين، إن لم يكونوا معتدين باستمرار، فهم غير عقلانيين وغير متسامحين في رفضهم التكيّف مع هذا الدخيل على وسطهم.

مع ذلك، فقد تغيرت هذه النظرة هي الأخرى، خصوصا منذ وصول مناحيم بيغن الذي يجسّد الصهيونية في اشد توجهاتها توسعا وتطرفا. لكن، على الرغم من ان الغرب اخذ يتخلى شيئا فشيئا عن الزعم القائل بأن كل ما يريده العرب هو «الالقاء باليهود في البحر»، لا يزال رفض «القبول بحق اسرائيل في الوجود» يبدو، في نظر الغرب، عقبة في طريق السلام اكبر من العقبة التي يطرحها رفض اسرائيل الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير وإقامة دولة لهم.

ولقد عرف السادات كيف يستغل هذين العاملين لمصلحته، هذا وان كان، بذلك، اساء كثيرا الى الفلسطينيين والعرب والمصريين. بل ويمكن القول إنه اساء الى الغرب والولايات المتحدة واليهود وحتى الى الاسرائيليين انفسهم.

في اي حال، ليس صعبا على اي عربي ان يلاقي التأييد إذا عرف كيف يعرض الأخطاء في ضوء نظرة الغرب الى الشرق الأوسط، واذا حدث ان هذا العربي هو حاكم مصر، اقوى دولة عربية، وعرف كيف يقدّم عرضه بمثل الأسلوب الملفت الذي اعتمده انور السادات، سيكون له عندئذ ان يلاقي تأييدا ملفتا للنظر.

ولنعد، هنا، الى ما قبل الزيارة الشهيرة الى القدس في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧. يومها، غالبا ما كان السادات يبدو في صورة من يدعو الى الحرب. وبالفعل، قبل اسابيع قليلة من توجهه الى القدس، اوصى السادات بشكل علني، بأن تقوم مصر بتطوير مقدرة نووية تسمح بإزالة مليون اسرائيلي في مقابل مليون مصري. وكان شأن اعلان من هذا النوع ان قدّم للصهيونية خدمة متقنة في دأبها على تصوير جيرانها كأناس يحكمهم التصميم على تدمير اسرائيل. لكن، سرعان ما غاب ذلك كله في زيارة القدس، واذا بالسادات ينقلب، بين ليلة وضحاها، الى «رجل كبير» و«أمير للسلام».

في اي حال، سواء كانت زيارته للقدس قد خدمت القضية العربية ام لا ــ وهذا ما كان في الامكان المناقشة في شأنه في حينه ــ فمما لا شك فيه ان ما قام به كان «خبطة» ذكية جدا، بمعنى تأثيرها إعلاميا على العالم الغربي.

وفي الحقيقة، انه في اليوم الذي وضع السادات في ذهنه ان يحل الحرم العربي